ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Waist Journal for Human Sciences

Journal Homepage: https://wjfh.uowasit.edu.iq/index.php/wjfh/en

Research article

Representations of Writing in the saying of the prophet and his family (peace and blessings be upon them): Apragmatic semantic study

Asst. Prof. Dr. Mohammed Abdulsalam Al-Kinani

Nukhbat Al-Aziziyah Secondary School for Gifted Students, Wasit Directorate of Education, Iraq

ARTICLE INFO

Keywords: Writing, representations،Hadith of the prophet and his family, significance, pragmatics

***Correspondence author*:**

mmmmm67aa@gmail.com

Received: 26 **July** 2026
Revised: 03 **November** 2026
Accepted: 03 **November** 2026
Published: 25 **November** 2026

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

ABSTRACT

Writing in the linguistic corpus has been characterized as a means of preserving language and transmitting the nation's heritage. However, its impact has not been limited to preservation; it has also become a tool for expression, guiding behavior, and organizing reality.

The words of Writing have transformed into an effective performative force, with meanings derived from context and directed with clear intention. They possess powerful influence on the recipient, becoming an effective tool in managing society and controlling knowledge. This makes Writing an advanced model for modern linguistic studies, particularly in semantics and pragmatics.

The sayings of the Prophet and his family (peace be upon them) operated within this framework, establishing a comprehensive cultural vision for producing, preserving, and disseminating knowledge. The semantic and pragmatic approach enables a deeper understanding of the cognitive and communicative functions produced by the written structure of the hadiths, revealing the civilizational and cultural dimensions of societal development.

***Cite*:**

Al-Kinani, M. A. (2026). Representations of Writing in the saying of the prophet and his family (peace and blessings be upon them): Apragmatic semantic study. *Wasit Journal for Human Sciences*, *22*(4/Pt2). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss4/Pt2.2209

تمثلات الكتابة في أحاديث النبي وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام)
دراسة/ دلالية تداولية

أ.م.د. محمد عبد سالم الكناني
ثانوية نخب العزيزية للمتفوقين، مديرية تربية واسط

المُستخلص

اتسمت الكتابة في المدونة اللغوية بأنّها وسيلة لحفظ اللغة، ونقل تراث الأمة، إلا أنّ أثرها لم يقف عند كونها وسيلة حفظ، بل وسمت بتمثلات جعلت منها أداة للتعبير، ووسيلة فاعلة في توجيه السلوك، وتنظيم الواقع.

وقد تحولت ألفاظ الكتابة الى قوة إنجازية فاعلة تتخذ دلالاتها في ضوء السياق وتُوجّه بقصدية واضحة، وتحمل قوة تأثيرية بالمتلقي، فصارت أداة فاعلة في إدارة المجتمع وضبط المعرفة، وهو ما يجعلها أنموذجاً متقدماً يمكن الإفادة منها في الدراسات اللغوية الحديثة ولا سيما في حقل الدلالة والتداولية.

وكان حديث النبي وأهل بيته(عليهم الصلاة والسلام) يجري في هذا المجال، إذ أسس رؤية ثقافية متكاملة بوصفها أداة لإنتاج المعرفة وحفظها وتداولها. وقد أتاحت المقاربة الدلالية والتداولية فهماً أعمق للوظيفة المعرفية والتواصلية التي أنتجتها البنية الكتابية للأحاديث الشريفة كاشفة عن البعد الحضاري والثقافي لبناء المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الكتابة، التمثلات، حديث النبيّ وأهل بيته، الدلالة، التداولية

المقدمة

تعد الكتابة من أهم المنجزات في تاريخ البشرية وأعلاها عنصراً حضارياً حيث أسهمت في حفظ المعرفة الإنسانية وتناقلتها عبر الأجيال، وهي الوسيلة التي وثّقت العلوم وعرّفت بالأفكار وحفظت الذاكرة الإنسانية بما تحتويه من قيمة معرفية كبرى، كلّ ذلك أسهم في بناء الوعي الفردي والجماعي.

وقد أدرك المسلمون الأوائل تلك القيمة العظمى للكتابة وأثرها في بناء الفرد والمجتمع وسيلة للتواصل ونقل المعارف وتبادل الأفكار وتنظيماً للحياة منذ أن منحها الوحي الإلهي الوساطة لأعظم كلام وأشرف كتاب لتحمله عبر الزمان والمكان إلى كلّ الأنام.

وقد كشفت النصوص الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأهل بيته (عليهم السلام) عن دعوتهم الى حفظ الكتابة، والحثّ على تدوين العلم والعناية بالمكاتبات، ومن قبلهم القرآن العظيم الذي أقسم بآلة الكتابة، وأفصح عن أدواتها مظهراً أهميتها في بيان الحقوق وتثبيتها، وحفظ معارف العلوم وأنّها الوسيلة الناجعة للاطمئنان على مصالح الناس وحقوقهم، إذ أصبحت أداة للمعرفة واستمراراً للتواصل العلمي والثقافي بين الأجيال.

ومن هنا تنبع أهمية دراسة تمثلات الكتابة في أحاديث النبيّ وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام)، ولم تكن الدراسة خاصة بالألفاظ الدالة على الكتابة فحسب، بل هي استكشاف للصور الذهنية والمعرفية والقيم الثقافية الكامنة في تلك الأحاديث الشريفة نحاول استظهارها والوقوف على دلالاتها واستعمالاتها اللغوية.

فبعد أن تطورت الدراسات اللغوية الحديثة أصبح بإمكان الباحث أن يعيد قراءة الأحاديث الشريفة، ليستظهر منها المعاني الدلالية والمواقف التداولية من تلك التراكيب في سياقاتها المختلفة والبحث عن المقاصد التواصلية والوظائف الإنجازية والأبعاد الحجاجية حينما تتفاعل داخل النصّ.

وإنّ هذه الدراسة تتيح الكشف عن المعاني ظاهرة ومضمرة، ولذا يسعى البحث الى استقصاء التمثلات الكتابية بألفاظها محاولاً تحليل الوظائف الدلالية وتوضيح وظائف الأفعال الكلامية والأساليب التي نظمت في سياقاتها والكيفية التي تشكل بها مفهوم الكتابة استجلاء للبعد الثقافي والحضاري لإبراز مكانة الكتابة في الفكر الإسلامي والكشف عن عناية النبي وآله (صلوات الله عليهم) لها، فقد تأسست الكتابة عندهم على بنية دلالية مركبة تتداخل الوظيفة التوجيهية مع البعد الأخلاقي والتداولي، حتى تتحول الكتابة من وسيط لغوي الى أداة فاعلة في تنظيم الواقع وإنتاج المعنى، فهي كتابة تقوم على الاقتصاد اللغوي والمعنى الدلالي، والانفتاح التأويلي المنضبط بالسياق الأمر الذي يمنحها طابعاً تداولياً مميزاً يجعلها أقرب الى الأفعال الإنجازية إلى من التراكيب الخبرية الجامدة.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي مستنداً إلى العناصر اللغويّة للكشف عن المعاني وسياقاتها المرتبطة بالكتابة موظفاً تداولية الألفاظ ومستظهراً المقاصد التي تضمنتها الأحاديث الشريفة.

وبذلك انقسم البحث على مبحثين الأول: الرؤية المعرفية للكتابة في أحاديث النبي وآله (صلوات الله عليهم)، لينهض بتجليات الوعي المعرفي لحفظ الذاكرة العلمية ودوام استمراريته مستنداً إلى الألفاظ الكتابية الدالة على تقييد العلم والمعرفة والحثّ على نشرها عبر الأجيال.

وأما الثاني فهو: البنية التواصلية للكتابة في أحاديث النبي وآله (صلوات الله عليهم). وقد كشف عن أنّ ألفاظ الكتابة هي أفعال تواصلية مقصودة تحقق فهماً وإقناعاً، وهي أفعال إنجازية تؤثّر في المتلقي.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في كونه يسعى الى استنطاق دلالة ألفاظ الكتابة وتداولية أفعالها الإنجازية في الأحاديث الشريفة للنبي وآله (عليهم الصلاة والسلام)، والكشف عن أبعادها المعرفية والتواصلية والحضارية، مبيناً المقاصد التواصلية والإنجازية التي تضمنتها، وهو يسعى الى تقديم قراءة علمية جديدة لتمثلات الكتابة تجمع بين أصالة النصّ التراثي وحداثة المنهج اللسانيّ إثراءً للدراسات اللغويّة.

مشكلة البحث:

تناولت الدراسات أحاديث النبي وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) من الجوانب الحديثية والفقهية والتربوية إلا أنّ تمثلات الكتابة في تلك الأحاديث لم تنل حظّها الكافي من الدراسات اللسانية الحديثة، ولا سيما في ضوء المقاربتين الدلالية والتداولية، فقد انصرفت معظم

الدراسات إلى بيان الأحكام المتعلقة بالكتابة، أو إبراز أهميتها في حفظ العلم في حين ظل الكشف عن التداولية التي أدتها هذه الألفاظ في الأحاديث في سياقاتها التواصلية المختلفة مجالاً يحتاج الى مزيد من البحث والاستقصاء.

الدراسات السابقة:

على الرغم من أهمية الموضوع إلّا أنّه لم يجد الباحث دراسات سابقة تعنى بالألفاظ الكتابية وتمثلاتها دلالة وتداولاً في أحاديث النبي وآله (صلوات الله عليهم)، بل عنيت بأهمية أحاديث الرسول وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام)، كونها تنظم شؤون حياتهم. أما ما عني بأحاديث الكتابة، فقد وجده الباحث في واحد من أبواب الكافي للكليني، وفي كتاب ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري، التي تعنى بجمع أحاديث الكتابة. أما الدراسات الحديثة فلم تعنى بها.

التمهيد: تعد التمثلات والتداولية من المفاهيم المهمة في دراسة الخطاب، إذ تعنى التمثلات بالكشف عن التصورات الذهنية والثقافية، والدلالات التي تتشكل حول الأشياء، وتعنى التداولية بدراسة المعنى في سياق الاستعمال، وترصد علاقته بقصد المتكلم والمخاطب، وما يحيط بهما من ظروف.

وتستند المقاربة التداولية الى مجموعة من المفاهيم منها السياق، وأفعال الكلام والقصدية، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، والحجاج فهي تسهم في تفسير كيفية بناء المعنى، وتوجيهه وكشف الدلالات الصريحة والضمنية والوظائف الإنجازية والتأثيرية للخطاب، وقد وظّف الباحث هذه المفاهيم في دراسة الموضوع للكشف عن الدلالات المتنوعة ووظائفها المعرفية والتواصلية وكيفية تشكل معانيها في ضوء السياقات الواردة فيها.

المبحث الأول: الرؤية المعرفية للكتابة في أحاديث النبي وآله (عليهم الصلاة والسلام):

احتلت الكتابة في الخطاب النبويّ وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مكانة معرفية رفيعة، فلم تكن وسيلة تواصلية ومهارة كتابية فحسب، بل كانت وسيلة لحفظ العلم وتوثيقه وضمان استمراره عبر الأجيال، وقد تجلى الوعي المعرفي المبكر بأهمية التدوين، لحفظ الذاكرة العلمية للأمة، فكان الحثّ على تقييد العلم بالكتابة والحفاظ على الكتب وتوارثها، لحفظ الوعي المعرفيّ من الضياع وتناقله، ودوام استمراريته حفظاً للعلم ونشراً له، وقد تجلى ذلك عبر بنية معرفية تمثلت على النحو الآتي:

١-الكتابة وعاء للعلم وحفظ من الضياع.

تمثل الأحاديث المتعلقة بالكتابة تجعل الكتابة أداة لحماية العلم من الضياع والتحريف والنسيان. فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "قيّدوا العلم بالكتاب"(الريشهري،١٤٢٩هـ ص.٥٣٩) وفي ضوء هذا الحديث الشريف يُعلم أن الذاكرة الإنسانية قد تضعف عن الحفظ، فتستبدل الكتابة بالذاكرة لحفظ العلم، وتثبيت المعارف، فتصبح الكتابة امتداداً للذاكرة الإنسانية، لتوثق ما عجزت عنه، ولتصبح وعاءً للعلم، وبديلاً معرفياً ممّا تفلّت من الذاكرة لوهن أصحابها أو لبعد زمانٍ أنساها.

فـ"كلّ تواصل ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة"(صحراوي، ٢٠٠٥،ص ص. ٣٠ – ٣١)، ولذا جاء الأمر بصيغته في قول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) (قيّدوا) و "قيّد: قيّدته بالقيد تقييداً" (الفراهيدي، ٢٠٠٥، ص.٨٢٧) أي: ما وُثق به، وفيه من الدلالة ما يكشف أن العلم سريع التفلّت، لذا يحتاج الى التوثيق، فكأنه جعل العلم شيئاً مادياً متحركاً يحتاج الى التقييد، لتأتي الكتابة قيداً يحفظه من الضياع .

ويدلّ لفظ(العلم) على عموم المعرفة وشمولها إذ جاء مطلقاً، فهو لا يختصّ بعلم ما دون آخر، وبذا هو يؤسس لتوثيق مطلق العلم والمعرفة، وقد استعمل أداة دالة على الوسيلة وهي (الباء)، وهي علاقة تركيبية استعملها "العربي أداة في التعبير يقيم به علاقة بينها وبين ما حولها من الكتاب ليصير للنظم مقاصد ذات فائدة وبيان"(قباوة،٢٠٠٢، ص.٢٣٩)، فهي أداة استعمال ووساطة توصل الى(الكتاب) لتقييد العلم. أما الفعل الإنجازي الذي"ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات"(صحراوي، ٢٠٠٦. ص. ٢٦) فهو توجيه الأمة لحفظ العلم متجاوزاً شكله البنيويّ الى إنجازه العملي فتداولية فعل الأمر توحي باستعمال لغوي يفترض الحديث متلقياً مسؤولاً وعنصراً فاعلاً في تلقي تداولية الحديث الشريف، وإنجاز الفعل.

وجاء الحديث في استعمال اللغة، لتغيير واقع معرفي وإنجاز عملي يحثّ على تقييد العلم بالكتابة، لئلا يضيع من الذاكرة التي يعرض لها النسيان، فيضيع العلم ويصير في طيّ الزمان. وبذلك أسهمت توجيهات النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتأسيس ثقافة التدوين وعقلية التوثيق، ويمثل خطاباً جماعياً بدلالة (واو) الجماعة في بنية الفعل (قيّدوا).

والواو علامة عامة وهي تحيل على المرجع الخارجي، وهذا يقتضي وجود جماعة من الأشخاص في العلم الواقعي فالاقتضاء مرتبط بمفهوم الإحالة. (حسنين، دت، ص. ١٩٢)، ويهدف تداولياً الى بناء الوعي العلمي الجماعيّ، لإرساء فكرة التوثيق المعرفيّ.

وجاء في الكافي قول أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) "اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا"(الكليني، ٢٠١٧، ص. ٤١)، في النصّ أمر بالفعل (اكتبوا)، وتعليل بالفاء، ثم توكيد بـ(إنّ) لنفي قدرة الحفظ، ثم ربط بين الحفظ والكتابة بحرف الغاية (حتى)، وهذا توظيف للربط المنطقي بين الأمر والتعليل ثم إظهار النتيجة.

وقد ضمّن الإمام (عليه السلام) النصّ الحجّة، فهي حاضرة في سياق الكلام، وهي أنّ الحفظ مرهون بالكتابة إذ إنّها تحمل دلالات التقييد والتوثيق والحفظ. فالفعل (اكتبوا) لغة: يعني (الجمع) جاء في المفردات "الكتابة: ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض"(الأصفهاني،٢٠٠٩، ص. ٥٥٥)، وبذا يتضح القرب الدلاليّ في المعنى اللغويّ.

أما الحفظ لغة: فهو نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلّة الغفلة (ابن منظور،١٩٩٩، ص. ج٣. ٢٤٢)، وهو استبقاء في الذاكرة، ثم إنّ دلالة (حتى)ــ وهي الغاية الشرطيةــ تمنح الحفظ أهمية عليا، لتحقيقه وبذلك تكون الكتابة قد حققت وظيفة معرفية مركزية في عملية الحفظ الواعي.

وبذلك يصبح لدينا تظافر دلالي للألفاظ اللغوية (الحفظ، اكتبوا، الكتابة، حتى)، لتكوين رؤية معرفية متكاملة، ولتحقيق المعرفة، والتوثيق، والإدراك بوساطة وسيلة الكتابة ودلالة (حتى) على الاستمرارية. وهي أداة إقناعية ورابط حجاجي، وهو" عبارة عن علاقة لسانية تربط بين غرضين لغويين داخل القولة نفسها"(الرقبي، ٢٠١١.ص. ١٠٣) لها أهميتها في ترتيب منزلة العناصر، إذ اختلفت قوة تلك الحجتين إلاّ أن ما جاء بعد (حتى) هي الحجة الأقوى (خضير،٢٠١٧، ص. ١٠٨).

وتفصح الدلالة السياقية عن الأمر بالكتابة بوصفها وسيلة توثيقية لحفظ العلم من الضياع والتحريف في زمان اتسعت فيه الرواية وكثرة التلقي من الناس، ما يزيد في احتمال الخطأ والنسيان. وبذلك تشكل الكتابة امتداداً للذاكرة الإنسانية وعملية تكاملية، إذ إنّ تدوين المعلومة يرسخها في الذاكرة ويزيد من قدرة الاسترجاع، وقد تضافرت مبادئ الحوار في النصّ التي تفصح عن مجموعة من القواعد والقوانين المتمثلة بمبدأ التعاون: وهو توقع المتخاطبين المساهمة كلّ منهما في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير أقوالهم. (موشلار، جاك، وآن روبول، ٢٠٠٣. ص. ٥٥) لتكشف وجهة الطريقة التي تحدد من قبل طرفي الخطاب فهي المسؤولة عمّا يفعله المتخاصمون ويلتزمون به لضمان عدم الإخلال بالمعنى. (خضير، ٢٠١٧، ص. ١٥٦).

إنّ القوة الإنجازية بصيغة فعل الأمر لفعل القول (اكتبوا) تحمل صفة إرشادية تربوية هدفها التعليم ولا يراد منه الأمر السلطوي القهري، (إنّ المناسبة تجعل صيغة الأمر تفيد النصح والإرشاد) (حسنين، دت، ص. ٢١٩)، وبذلك فهو يدفع بالمتلقي الى الكتابة بالفعل التأثيري.

ويستلزم النصّ أن هناك عملية نسيان تلازم الإنسان وأن الرواية لا تكفي وحدها، فلا بد من اللجوء الى الكتابة والاستعانة بها، لأنها أكثر دقة من الحفظ، فالاعتماد على الحفظ قد يعرض النصّ الى التحريف والنسيان وضياعه، ويتضمن النصّ معنى آخر أنّ العلم هو مسؤولية جماعية لحفظه والعناية به. لوجود (واو الجماعة) في الأفعال الثلاثية لإثبات الخطاب الجماعي.

ولمّا كان الخطاب ناشئاً من مقام الإمام (عليه السلام) الى طلاب العلم، بدلالة الإحالة المقامية بوساطة واو الجماعة في الأفعال، عليه فعملية إنجاز الفعل الكلامي وتحققه متعلقة بقصد المتكلم وفهم السامع لهذا القصد فهماً جيداً ومن ثم الاستجابة له انطلاقاً من القوة الإنجازية المتضمنة في الفعل الكلامي وذلك لأنّ اللغة حسب (أوستن) نشاط وعمل ينجز أي: أن المتكلم لا يخبر فقط ويبلغ فحسب، بل إنّه يفعل أي: يعمل"(خضير،٢٠١٧، ص. ١٢٥)،

"وتعد حجية السلطة من الحجج المهمة والاستراتيجيات القوية التي تدفع فعل الإقناع باتجاه الأمام وهي حجج تغذيها هيبة المتكلم ونفوذ وسطوته فشهادة أي شخص على قضية ما تعتمد على نفوذه ومكانته الاجتماعية ويمثل السلطة العلماء والفلاسفة والكهنوت والإجماع والرأي العام"(خضير، ٢٠١٧، ص. ١٠٨)، فهذا يعطي النصّ سلطة علمية وأخلاقية، لتكسبه صفة اللزوم وضرورة التدوين، وفي البعد الفكري والحضاري فإنّ الإمام (عليه السلام) يؤسس لثقافة التدوين، وحفظ المعارف الفكرية من الضياع والتحريف، لأنّ الكتابة هي وسيلة لصيانة الهوية العلمية وحفظ تراث الأمة.

وجاء في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء وإنّما ذهاب العلم بذهاب العلماء"(الريشهري،١٣٨٧، ص. ٥٣٩) يتضمن الحديث الشريف بعداً دلالياً يقوم على الربط بين العلم والكتابة وبين بقاء المعرفة وبقاء العلماء ما يلزم المتلقي الحثّ على التدوين بالفعل الإجرائي، وفيه من التحذير باستشراف المستقبل؛ ليؤسس للمسؤولية الجماعية لحفظ العلم من الضياع.

يتصدر الحديث فعل الأمر (اكتبوا) بصيغته متجاوزاً ذلك المعنى المادي والدلالة المعجمية الى معنى الأمر بالتوثيق والحفظ لاستدامة المعرفة العلمية ويلحظ أن لفظة(العلم) جاءت معرفة بـ(أل) التعريف الدال على العموم والشمول والذي يفيد الاستغراق، ولم يأتِ مقيّداً بصفة أو إضافة ما يعطي سعة وشمولية ودعوة الى تدوين أي علم نافع يخاف عليه من الضياع.

وفي الحديث إشارة الى استباق الزمان بعبارة (قبل ذهاب العلماء) فالظرف (قبل) الدال على الزمان يوجه المتلقي الى الإسراع بالتدوين للحفاظ على العلم ومما يوثق الصلة العميقة بين العلم والعلماء أن النبي (صلى الله عليه آله وسلم) لم يربط الذهاب بالعلم أي: لم يقل (قبل ذهاب العلم) ما يوحي بارتباطه بذاته، بل ربطه بالعلماء، لأنهم حملة العلم ووعاته فهو أداة في عقول العلماء ونفوسهم ما يضفي عليه صفة إنسانية واعية ودلالة عميقة تجعل موت العلماء ذهاباً وفقداناً لوعي الأمة ومعارفها، ولم يستعمل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لفظة (الموت)، بل جاء بما يدل عليه نحو قوله تعالى: "فلا تَذهبْ نفسُك عليهم حسرات"(القرآن الكريم، الجزء الثاني والعشرون. ٨ . ٤٣٥) "والمراد بذهاب النفس عليهم هلاكها فيهم لأجل الحسرات الناشئة هن عدم إيمانهم"(الطباطبائي،٢٠١٠، ص. ج١٧. ١٥).

ولمّا كان لكل مقام مقال، فإنّ "علم المعاني قائم على مراعاة المقام فهو يعتمد بكل جزئياته على دراسة هذه المراعاة وكيفية توفيرها في الأسلوب ليصل إلى الجودة والإتقان"(حافظ،٢٠١١، ص. ٥٦٠)، وقد أكد وحصر بالأداة (إنّما) فجعل ذهاب العلم محصوراً بذهاب العلماء لا غير. وهذا مما يعظّم قيمة العالم وضرورة حفظ علمه بوسيلة الكتابة. ولزيادة قوة المنطوق وتعزيزه إنَّ المنطوق يمكن أن يتغير بأغراض مختلفة ويمكن للغرض الإنجازي أن يقدم بدرجات متفاوتة باختلافات العنصر المعجمي. (حافظ،٢٠١١، ص. ٣٢٥)

وتتجلى الأفعال الكلامية المنجزة بتداولية فعل الأمر (اكتبوا) حاملاً معنى الحَثّ على تقييد العلم بالكتابة والإرشاد الى المحافظة عليه، إذ يحذر بالفعل الإنجازي في قوله:(قبل ذهاب العلماء) لينبّه المخاطب الى الخطر العظيم الناجم عن ذهاب العلماء، لأنّ العلم مرتبط بهم فهم الوعاة وهم الذين يكشفونه.

فقد نشأت علاقة سببية ونتيجة حتمية. وهذه العلاقة تعطي معقولية لكيفية تتابع القضايا في النصّ بلحاظ السببية المتمثلة بغياب العلماء والنتيجة الحاصلة المتمثلة بذهاب العلم. (النجار،٢٠١٦) ما يهيئ نفس المتلقي، لبذل الجهد لاتباع وسيلة الكتابة للحفاظ على العلم.

٢- الكتابة وتوثيق المعرفة واستدامتها:

يُروى عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: "احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها" (الكليني،٢٠١٧، ص. ٤١) ، تظهر في هذا الخطاب اللغوي البنية الدلالية والتداولية في ألفاظه، إذ يبدأه بفعل الأمر (احتفظوا) المشتق من الجذر اللغويّ (حفظ) إلّا أنّ الصيغة الصرفيّة (افتعل) أعطت للفعل دلالة إضافية زادت على المعنى اللغوي (الحفظ) معنى دلالياً يراد منه الإبقاء على الشيء وصيانته من التلف، فمن أشهر معاني صيغة (افتعل) (الاتخاذ) أي: خذوا الاحتفاظ وسيلة للمحافظة على كتبكم.(الفروسي، وشلاش،٢٠١٤، ص. ٨١).

فالاحتفاظ يشتمل على الاستبقاء والعناية لاستدامة الانتفاع بالكتب؛ لذا عدل إلى صفة أخرى، ليشكل باختياره الصيغة الصرفيّة دلالة وعي ومعرفة، وأهمية تعنى بالكتاب، ليضطلع بمهمته في بناء الإنسان والمجتمع عبر الزمان.

وإنّ استعمال (الباء) الدالة على المصاحبة والإلصاق تؤكد العلاقة الوثيقة بين الإنسان والكتاب، ولشدّة هذه العلاقة فقد أضاف الكتب الى (الكاف) المتصل بالميم الدالة على الجمع، إذ يدلّ ضمير المخاطب على الملكية المعرفية، لما يحتويه الكتاب من الخصوصية المرتبطة بالعلاقة الوثيقة بين الكتب ومخصوص المضاف إليه، وهم فئة من الناس لهم علاقة وثيقة بالإمام (عليه السلام)، ويعدون من خاصته.

وتعد الإضافة من المخصصات التي أنجزت فعلاً كلامياً، وأوصلت رسالة بلاغية واضحة للمخاطب (صحراوي،٢٠٠٥، ص.ص. ١٨٠. ١٨١)، إذ إنّ دلالة الجمع تحمل معنى التنوع المعرفي فحينها تتعدد الكتب، لتنتج تنوع المعارف وازدياد مصادرها.

وقد أكد الإمام (عليه السلام) احتياجهم بدلالة (إنّ) واستشراف المستقبل بـ(سوف)، لما قد يتبادر من المتلقي الشك في الكلام، لأنه أمر واقع في المستقبل وهو طبيعة بشرية لعدم القدرة على استشراف المستقبل إلا من حظي بالقرب الإلهي، معضداً دلالة المستقبل بصيغة الفعل المضارع (تحتاجون)، والدال في معناه على الافتقار وعدم الاستغناء عن الكتب، فتتحول الدلالة الزمنية من أداة ثانوية الاحتياج الى أداة ضرورية لا استغناء عنها فهو استشراف للمستقبل، واستكشاف لأحوال الناس المضطربة وإنباء عن خصوصية الضعف الذي يصيب ذاكرة الناس حينها تكون الكتب بديلة منها تحفظ العلم والمعرفة.

وقد افترض الإمام (عليه السلام) أن الإنسان قد يقصّر في الاحتفاظ بالكتب وأن المستقبل ينطوي على ظروف تتطلب الرجوع الى الكتب، ما يستدعي النصّ استباقاً خطابياً يعالج مشكلة مستقبلية. إذ إنّ هذا الافتراض هو „إحدى طرائق التمحيص في عملية إنجاز أفعال الكلام عبر الألفاظ في افتراض أن في كلّ لفظ هناك عبارة تحتوي فعلاً يوضح القوة الوظيفية"(يول، ٢٠١٠، ص. ٨٧).

وفي النصّ بعد تداولي قائم على الحجاج الذي بُني على المقدمة (احتفظوا بكتبكم)، ثم يعلل (فإنّكم سوف تحتاجون إليها)، وبذلك يتحقق الإقناع العقلي، فالتعليل من الإمام (عليه السلام) هو بحكم الأمر الواقع، لذا كان لقوله أثر نفسي في ترسيخ الامتثال.

وجاء عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: "اكتب وبُثَّ علمَك في إخوانك فإنْ متّ فأورثْ كتبك فإنّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم" (الكليني،٢٠١٧، ص. ٤١)

تحول الكتاب في النصّ الى مشروع حضاري يحمي الوعي الإنساني، ويجعل منه ملاذاً آمناً في زمان الفتن واضطراب القيم، فالكتاب عنده ليس للتوثيق فقط، بل هو امتداد للفكر الإنساني وحفظ التراث الحضاري.

إن الفعل (اكتب) جاء بصيغة الأمر الذي يدل على تقييد الألفاظ وتوثيقها أي: انتقال العلم والمعرفة من الذاكرة الإنسانية الفردية الى الذاكرة الجماعية، فالعلم حينما يوثق في الكتاب يصبح ذاكرة إنسانية جماعية.

ثم يأمر بصيغة فعل الأمر (بُثَّ علمك)، جاء في العين "بَثُّ الشيء: تفريقه وبثثت الشيء والخبر: نشرته" (الفراهيدي،٢٠٠٥، ص. ٥٥، والأصفهاني،٢٠٠٩، ص ص. ٥٥، ٥٨)، فالبَثّ يدلّ على التفريق والامتداد في الجهات المختلفة، ولذا كانت عناية الإمام (عليه السلام) باستعمال لفظة (بث) ولم يأتِ بلفظ آخر يفيد النشر، لأنّ في البثّ دلالة شيوع المعرفة وتحويلها من الملكية الفردية الى منفعة جماعية.

وبعد تدوين المعرفة وتوثيقها في حياة الإنسان تأتي مرحلة التوريث إذ يقول: ((وأورث كتبك بنيك)) إذ اختار لفظ (أورث)، لأنّ الإرث ذو قيمة دلالية عالية المضمون، لما فيها من الدلالة على الاستمرار والانتقال عبر الأجيال، ولها قوة وظيفية عالية، لإتمام الفعل الوظيفي عبر قوة اللفظ التواصلي، وإنّ هذا الفعل سيكون له تأثير معين لدى السامع يُعبر عنه بالفعل التأثيري. (يول، ٢٠١٠، ص. ٨٣)، وبذلك يصبح الكتاب امتداداً عقليّاً وفكريّاً وتراثاً علميّاً ينتقل من جيل الى آخر يعمل على زيادة العلم والمعرفة.

ثم يستشرف الإمام (عليه السلام) عبر الزمان ويتنبأ بضعف الأمن المعرفي والاجتماعي حتى يصبح الإنسان لا يأنس إلّا بالكتاب لصلته الوثيقة به، ولكونه مصدراً صادقاً يمكن الركون إليه لوثاقته وثبات المعارف بين طياته في زمان يقلّ فيه الأنس بغيره، لذا يصبح الكتاب رفيقاً فكرياً ومصدراً للطمأنينة.

والنصّ ليس إخباراً فحسب، بل هو خطاب إنجازي وتوجيهي له وظائفه التداولية.

فالفعل (اكتب) هو توجيه إلزامي لحفظ العلم والمعرفة، ويأتي التحفيز على التواصل المعرفيّ بالفعل (بُثّ علمك)، ليبني استمرارية ثقافية وعلمية معرفيّة بالفعل (أورث علمك)، ثم يختم النصّ بالتحذير من المستقبل بالقول: (يأتي على الناس زمان لا يأنسون إلا بكتبهم) ما يرغب النفس بالأنس بالكتاب ويصنع رابطاً وثيقاً يعزز من التواصل بين النفس والكتاب، ويقدم النصّ تعليلاً مقنعاً لتوريث الكتابة وتوثيقها، إذ إنّ الفتن والاضطرابات تؤدي الى حاجة الناس الى الكتاب والأنس به.

وقد استند التعليل إلى العلاقة التصورية التي ربطت النصّ دون الحاجة إلى الروابط الشكلية، فقد ترتبط الجمل معنوياً مثلما ترتبط شكلياً، وتبرز هذه العلاقات في مثل السببية، إذ جعل السبب في الحفاظ على الكتب وتوريثها متعلقاً بما يصيب الناس من هرج في التفاتة لاستشراف المستقبل، ليكون الكتاب أنيساً. (النجار،٢٠١٦)، وقد برز عنصر الإقناع واضحاً في التعليل، لتوجيه المتلقي فكراً أو سلوكاً، لحماية المعرفة من الضياع والانقطاع الحضاري.

٣- العلاقة بين القلب والكتابة:

جاء في أصول الكافي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قوله: "القلبُ يتكلُ على الكتابة" (الكليني،٢٠١٧، ص. ٤١، والمجلسين، د ت، ج٢، ص. ١٥٢).

اعتمد النصّ البنية التركيبية الموجزة البالغة الكثافة والدلالة، ليتجاوز الأسلوب الخبري الى البعد التعليمي والتربوي.

فالقلب لغة: "تحويل الشيء عن وجهه، وقلبَ الشيءَ، وقلبه حوله ظهراً لبطن" (الفيروز آبادي، ١٩٩٩، ص. ١٦٢)، وجاء في القرآن الكريم بمعنى (العقل) في قوله تعالى: "﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ " (القرآن الكريم الجزء السادس والعشرون، ٣٧ . ٥٢٠) "يعني لمن كان له عقل من هذه الأمة، وهو من قولهم: ما لفلان قلبٌ وما قلبه معه أي: ما عقله معه ، وأين ذهب قلبك؟ يعني: أين ذهب عقلك"(الطبري،١٩٩٤، ج٢١، ص. ٤٦٢). وعرّفه الطباطبائي: بأنه "ما يعقل به الإنسان فيميز الحق من الباطل والخير من الشر والنافع من الضار"(الطباطبائي،٢٠١٠، ج١٨، ص. ٥٤٩)) ف "يراد به التدبير والفهم والاستيعاب وتلك من خصائص العقل وصفاته"(عضيمة، ١٩٩٤، ص. ٢٧٣)

أما الاتكال على الشيء فهو الاعتماد عليه فـ"التوكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك"(الجوهري، ١٩٨٧، ج٥، ص. ١٨٤٥).

ويدل السياق على أن معنى الاتكال المراد في هذا النصّ هو الاتكال القائم على الاستغناء عن بذل الجهد الذاتي، وفي الكتابة اطمئنان للنفوس وسهولة الرجوع الى الكتاب حال النسيان

والكتابة في اللغة: هي تقييد الكلام بالحرف والخط ولها دلالاتها وأبعادها، فهي توثيق لحفظ المعلومات من الضياع، ولها في البعد التواصلي أثر في نقل المعرفة عبر الزمان والمكان وما يناسب سياق الحديث هو البعد التنشيطي وهو تثبيت المعلومة في الذاكرة.

ويكشف التركيب للجملة الاسمية أن الإخبار عن القلب جاء في سياق الجملة الفعلية الدالة على الاستمرار لوجود الفعل المضارع (يتّكل) فالاتكال خاصية دائمة، وبذلك تتحول الكتابة من أداة مساعدة ووسيلة ناقلة للمفاهيم الى أداة أساس يعتمد عليها في الرجوع الى المعلومة وحفظها من الضياع. إذ إنّ الوظائف التداولية هي "علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام تستند هذه العلاقات الى المكونات حسب المعلومات الإخبارية التي يحملها وطبقاً للطبقات المقامية التي يمكن أن تنجز فيها" (المتوكل، ١٩٨٩، ص. ١٣٩).

وبتصنيف القول في ضوء أفعال الكلام إن المعنى هو إخبار بأن القلب يعتمد الكتابة وهو ملفوظ خبري إلّا أنّ الفعل الإنجازي يعطي دلالة تداولية أخرى فهو يحذّر ويوجه ، فالتحذير ألّا تكتفوا بالكتابة للحفظ؛ لأنّ القلب إذا اتّكل على ما كتب أهمل حفظه الداخلي، إذ إنّ في الخبر قوة إنجازية تختلف عن الصيغة النحوية، وهذا يفضي الى الشعور بالقلق العرفيّ إزاء الاعتماد الكلّي على الكتابة، وتحفيز الجهد الذاتي في الحفظ، وهذا ما يعرف بالفعل التأثيري، وبالنظر الى مبدأ الكميّة في مقتضيات الحوار نجد أنّ القول جاء مكثفاً بأدنى المعلومات

لإيصال المعنى وهو ملائم تمام الملائمة، إذ جاء في سياق الحثّ على العلم والتدوين، وقد ينشئ الحديث معنيين في المقتضى التداولي "وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد" (صحراوي،٢٠٠٥،ص. ٣٤) الأول: أنّ الاعتماد على الكتابة يضعف الحافظة، والثاني: أنّ الحفظ له قيمة لا تعوضها الكتابة. ويقتضي في الأمر الكمالي هو الجمع بين الكتابة والحفظ، فهما يثريان المعرفة العلمية ويسند أحدهما الآخر.

المبحث الثاني: البنية التواصلية للكتابة في أحاديث النبي وآله (عليهم الصلاة والسلام):

لم تقتصر عناية واهتمام أحاديث النبيّ وآله (صلوات الله عليهم) على الكتابة والتدوين فحسب، بل كانت عملية منظمة للكتابة، حينما كان الخطاب يوجه الكاتب إلى جملة من الآداب، والإجراءات التي تجعل الخطاب المكتوب أكثر فاعلية، ووضوحاً، فالنصّ المكتوب يمثل فعلاً تواصلياً مقصوداً تحقيقاً للإفهام والإقناع والتأثير.

وقد تجلى ذلك في التوجيهات الخطابية في التأكيد على تحسين هيئة الكتابة واعتماد وسائل التوثيق؛ ولذا جاءت الأبعاد التداولية للكتابة بوصفها ممارسة تواصلية أسهمت في نقل المقاصد للمتلقي كونه هو المقصود في العملية التواصلية للتأثير فيه، ولتحقيق مقاصد الخطاب وقد جاء المبحث على النحو الآتي.

١-آداب الكتابة وتحسين الأداء الكتابي:

جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: "أَلِقِ دواتَكَ وأَطِلْ جلْفَةَ قَلمكَ وفرّجْ بين السطور وقَرْمِطْ بين الحروف فإنّه أجدَرُ بصباحة الخط" (الرضي،١٩٨٤، ص. ٦٩٧)

اتسم النصّ بتكثيف دلاليّ ومفهوم سياقيّ منوط بوظيفة توجيهية يمثل وعياً مبكراً بوظيفة الكتابة في إنتاج المعنى، إذ اكتنز النصّ أربعة أفعال أمرية (أَلِق، أَطِلْ، فَرّج، قرمطْ)، ويمثل الفعل (ألق) تهيئة الوسيلة وهي الدواة وتحسين أداة الكتابة وهي القلم بالفعل (أَطِلْ)، فالبري وإطالة طرف القلم وتحسينهما مظهران لتحسين الخط، ثم ينتظم في البنية الكبرى في تفريج السطور وللتقريب المعتدل بين الحروف أثره في إتمام عملية صَباحةِ الخط بالحسن والإشراق الجمالي للكتابة.

فقد وظّف الجمال بوصفه وظيفة دلالية، وبذلك انتقل المعنى من لفظة ذات دلالة خاصة الى معنى أعم وأشمل(عمر، ١٩٨٢، ص. ٢٤٣)، فللنصّ نظام دلاليّ يبدأ من الوسيلة الى التفاصيل الدقيقة التي تنتج خطّاً حسناً له أثره في نفس القارئ، "وإنّ قوانين اللغة المنتجة للملفوظات مدعوة لكي تكتسب الصحة الدلالية والتداولية على مستوى الكلام أن ترتبط بعناصر خارجة عنها أي هي عبارة عن قواعد سياقية"(مقبول، ٢٠١١،ص. ٩٣)، فهو يؤسس علاقةَ ربط بين جودة الوسيلة وجودة المعنى فيصبح الشكل الكتابي حاملاً للدلالة، ثم يربط بين الشكل الكتابي ووظيفة المعنى باستعمال التكثيف الدلالي، والملاحظ أن النصّ يندرج ضمن الأفعال التوجيهية، فالسياق التعليمي واضح في تعليم الكتابة وتنظيمها عبر الدعوة الى الوضوح والاقتصاد في استعمال الأدوات، والملاءمة في حسن الخط، وفي مبدأ الاستلزام الحواري يكشف النصّ عن أن الخط الرديء يصبح أداة إعادة لفهم النصّ، في حين يكون جمال الخط وسيلة للتواصل.

وجاء في كتاب الخصال أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كتب إلى عماله „أَدِقّوا أقلامَكم وقاربوا بين سطوركم واحذفوا عني فضولكم واقصدوا قصد المعاني وإيّاكم والإكثار فإنَّ أموال المسلمين لا تحتمل الاضرار" (الصدوق،١٣٩٨، ص. ٥٠٨)

إنّ النصّ يتضمن الأوامر في الصيغة البنائية للأفعال الدالة على الأمر وهي (أدقوا، وقاربوا، واحذفوا، واقتصدوا)، وهذه الجمل لا تصف شيئاً في الواقع الخارجي؛ لأنها أفعال آمرية وليست وصفية أو بيانية، لذا فهي جمل تتضمن إنجازاً للأفعال. (حسنين، ددت. ص. ٢٠٠٩)

وفي النصّ نظرة مبكرة لوظيفة اللغة الاقتصادية، فالموقف الاتصالي بين المتكلم والمتلقي قد ميّز بين معلومة مشتركة بين المتلقي والمتكلم، ومعلومة جديدة فرضها المقام أوضحت الغرض من الكلام (حسنين، دت. ص. ١٩٣)، فلفظ (أدقوا) في المعنى المعجمي من(الدقيق): "الشيء الذي لا غلظ فيه" (الفراهيدي،٢٠٠٥، ص. ٢٩٨)، وفيه من اللطافة والصغر، ثم جاء في هذا النصّ، ليتحول المعنى اللفظي الى الإحكام والإتقان وهو المعنى الدلالي أي: أن المعنى الحسي قد انتقل الى المعنى التجريدي الدال على ضبط التعبير وإتقانه.

ثم يأتي الفعل (قاربوا) "والقرب: نقيض البعيد"(الفراهيدي،٢٠٠٥، ص. ٧٧٧) والمقاربة تقلل المسافة بين السطور، لتنتقل إلى الدلالة التنظيمية التي تفضي الى حالة التنظيم، وتجعل النصّ أكثر رونقاً وجمالاً ما يقع في نفس القارئ بالرضى والقبول الحسن.

أما الفعل (احذفوا) فيراد به حذف الفضول من القول أي: ما زاد عن الحاجة وفاقاً للمعنى المعجمي إذ إنّ الحذف: "قطفُ الشيء من الطرف" (الفراهيدي،٢٠٠٥، ص. ١٧٨)، فالزائد من القول غير مرغوب فيه وهو من موارد التهوين في النصّ.

ثم يأتي الأمر بالفعل (اقصدوا قصد المعاني) جاء في العين أنّ (القصد): "استقامة الطريقة"(الفراهيدي،٢٠٠٥، ص. ٧٩٢)، وفي المفردات أن القصد: "استقامة الطريق" (الأصفهاني،٢٠٠٩، ص. ٥٣٥) وهي دالّة على الاستقامة والتوجيه المباشر، ليتأكد المعنى الدلالي للفعل بدلالة الوظيفة وفي المقاربة الدلالية للفعلين (أدقوا، واقصدوا) يظهر المعنى الدلالي وهو جودة الأداء اللغوي.

وجاء النهي في سياق النصّ (إياكم، والإكثار)؛ لينجز النطق به فعلاً تحذيرياً بدلالة الضمير الدال على التحذير، وهي أفعال توجيهية يراد منها تقويم السلوك الكتابي لضبط الأداء الإداري حينما أفصح بقوله: (فإنّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار)، فحجة المتكلم في النهي والأمر تعليل تداولي يرتبط بعدم تحمل أموال المسلمين للضرر، فهو توجيه يؤدي الى الإقناع الذي يمثل التزامًا أخلاقيًّا تجاه الأمانة التي أؤتمن عليها.

وبذلك يمكن الاستنتاج بالاستلزام الحواري أي: حينما "يتم الانتقال من القوة الإنجازية المباشرة الى القوة الإنجازية غير المباشرة عبر مبدأ التعاون وتوافر مبادئه الأساسية وهي مبدأ الكمية والكيفية والمناسبة والأسلوب" (حسنين، دت، ص ص. ٢١٣، ٢١٤) أن الإطالة تؤدي الى التبذير المحرم كما في النصّ القرآنيّ، وأن حشو الكلام هو خلل يصيب التواصل الذي يبني على الفهم والإفهام، ومنه يمكن أن نؤسس بناءً على النصّ الوارد على أن اللفظ القليل يؤدي الى وضوح المعنى وبكلفة قليلة.

وبذلك تظهر إشارة عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم واضحة في أن المعنى يتحدد في التركيب لا في الألفاظ المنفردة. إذ يقول: "إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة اللفظة التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ" (الجرجاني،١٩٩٢، ص. ٤٦).

من ذلك يتشكل المعنى الدلالي، أو الفعل اللغويّ المباشر بتوافر المعنى المعجمي والعلاقات النحوية متضمناً المعنى التداولي الذي يستلزمه الحوار بين المتكلم والمستمع (حسنين، تص. ٢١٣)، وبهذا يتحول النصّ من المعنى الظاهري الى نظام من العلاقات المترابطة والمتشابكة عبر تحليلها في المستوى المعجمي والتركيبي دلالياً وتداولاي.

٢- المكاتبة علاقة تفاعلية في ضوء الأدب والأخلاق:

مما جاء في آداب المكاتبة ما ورد عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "ردُّ جواب الكتاب حقٌ كردّ السلام"(الريشهري،١٣٨٧، ص. ٥٣٩)، بالنظر الى البعد الدلالي والتداولي لهذه الألفاظ نجد أنّها لا تقتصر على اللفظ اللغوي، بل إنّها تُعد سلوكًا تواصليًا أخلاقيًا تحفظ العلاقة الانسانية وتصون حق المخاطب.

ففي الدلالة اللغوية للفظة(ردّ) التي تعني في المعجم اللغوي:"الردُّ مصدر رَدَدْتُ الشيء"(الفراهيدي، ٢٠٠٥، ص. ٣٤٤)، ودلالة(كتاب) الذي يعني: ما كتب فيه، يحملان بعداً دلالياً، فلا بد للكتاب من ردّ الجواب، لأنّه يُعدُّ من حقوق التواصل، إذ لا ينظر للكتاب على أنّه نصّ مكتوب في شكله المادي، بل هو وسيلة تواصلية، له حضور اجتماعيّ يحمل مقاصد المتكلم.

وفي الإحالة العامة للفظة كتاب يقتضي أن يكون هناك كتاب مرسل، وحينها يتوجب ردّ لجواب ذلك الكتاب (حسنين، دت، ص. ١٩٢)

وجاءت أداة التشبيه، لتعزز قوة الكتاب وأهميته، فجعلت له حقاً اجتماعياً وأخلاقياً كردّ السلام في الشرع الإسلامي فـ "التشبيه إنّما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما من صاحبه „ (جعفر، دت، ص. ١٠٩). وللتشبيه فائدة هي إثبات الخيال في نفس المتلقي بصورة المشبه به، أو بمعناه ما يستدعي التوكيد في نفس المتلقي والترغيب فيه (ابن الأثير، ددت، ج٢. ص. ١٢٣).

والنصّ يحمل فعلاً كلامياً يفيد التوجيه، فهو ليس إخباراً فحسب، بل هو حثٌّ وتوجيه لسلوك تواصلي ينظم العلاقة التواصلية ومنعها من القطيعة.

ويتضمن الحديث معاني في الاستلزام الحواري منها أنّ تجاهل الردّ مذموم وأنّ التواصل مسؤولية أخلاقية والكتاب علاقة تفاعلية، هذه الاستلزامات المتضمنة يكشف عنها السياق والمقام.

فالحديث لا يكتفي بالمعنى اللغويّ، بل يحوّل اللغة الى إنجاز فعليّ تواصليّ ينظم المجتمع، وقد سار أهل البيت في نهجهم بالعناية بالمكاتبة على نهج جدّهم، فقد رُوي عن الإمام الصادق (عليه السلام) حديث بالألفاظ أنفسها عمّا رُوي عن الرسول (صلى الله عليه وآله

وسلم) وهو قوله: "ردّ جواب الكتاب واجب كوجوب ردّ السلام"(الريشهري،١٣٨٧، ص. ٥٣٩) مع استبدال لفظة (واجب) بـ(حق) وهذا يزيده خصوصية في إلزام الردّ على الكتاب.

فالحق في اللغة: "نقيض الباطل، وحقّ الشيءُ يحِقُ حقاً أي: وجب، وأحققتُ الشيء أي: أوجبته". (الفراهيدي،٢٠٠٥، ص. ٢٥٩)، وهو الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وبذلك يثبت حق الردّ للكتاب، أما الواجب فهو إلزام، وعدم جواز تركه وهو أقرب الى التكليف العملي، وبذلك ينقل لفظ (واجب) الأمر من الاستحقاق الأدبي في لفظ (حق) الى الإلزام العملي والأخلاقي المؤكد في لفظ واجب.

وقد اختلف التعبيران لاختلاف المقام والسياق، ففي قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تأسيس لثقافة التواصل في مجتمع ناشئ يحتاج الى مثل هذه المراعاة، أما في زمان الإمام الصادق (عليه السلام) فقد توسعت العلاقات وتواصل الأفراد، فاقتضى المقام التشديد واتسق لفظ (واجب) مع المقام، ففي قول النبي ميل لبناء القيمة الإنسانية والاجتماعية. أما الإمام الصادق (عليه السلام) فكان يهدف الى الإلزام العملي والأخلاقي فجاء مراعاة للمقام.

وجاء في كتاب الكافي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: "لا تكتب داخل الكتاب لأبي فلان واكتب الى أبي فلان واكتب على العنوان لأبي فلان"(الكليني،٢٠١٧، ص. ٦٧٣)

يمثل الحديث الوارد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنموذجاً دقيقاً للاستعمال اللغوي في مضانّه المناسبة، فلم يكن توجيهاً شكلياً للكتابة، بل هو نظام دلالي وتنسيق عالٍ بين اللفظ والسياق والوظيفة إذ يشير الى المستويات المختلفة من الاستعمال اللغويّ، ما يكشف إدراكًا عميقًا للفروق الدلالية الدقيقة بين التراكيب، واستعمال الألفاظ بما يتناسب وموقعها في التركيب. وتبعاً لقول سيرل وآخرين فإنّ المتخاطبين: هما المتكلم والمستمع سواء كان المتكلم بالفعل أو كاتباً والسامع فعلاً، أو قارئاً، فمتلقي الرسالة هو الذي يفسرها مستنداً الى التداولية في تفسيرها (حسنين، دت، ص. ١٩٠) .

وقد استعمل الإمام (عليه السلام) الفعل(كتب) دالاً على الأمر بصيغة فعل الأمر (اكتب) مرّة، ودالاً على النهي بصيغة الفعل المضارع المسبوق بـ(لا) الناهية (لا تكتب) مرة أخرى.

والنهي: هو "طلب الكف عن الفعل" (السيوطي،١٩٨٨، ج١، ص. ٤٤٣) وله صيغة واحدة هي "لا الجازمة مع الفعل المضارع"(السكاكي،١٩٨٢، ص. ٥٤٥)، ويطلب بوساطته "الكفّ عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام"(الهاشمي،٢٠٠٨، ص ص. ٨٢، ٨٣)، "وهما فعلان كلاميان متلازمان في أغلب الأحيان يحملان قوة إنجازية تحدد إدارة المتكلم وقصده" (كرازي، ٢٠١٨، ص. ٧٩). وهذه مفاهيم أفعال كلامية تعد نواة مركزية للتداولية، تشكلت ملفوظتاها ببنية دلالية لها قوة إنجازيه تأثيرية (صحراوي، ٢٠٠٥، ص. ٤٠)

وقد استعمل حروف الجر (اللام، وإلى، وعلى) في موقعها التركيبي بما يتناسب مع الدلالة المقصودة، فقد نهى أن يكتب داخل الكتاب (لأبي فلان)، لأنّه يُشعر بالملكية والاختصاص بدلالة اللام في البنية التركيبية، ومما يغير من جهة الخطاب للمرسل إليه.

فكانت صيغة (لا) الناهية والفعل المضارع عنصراً نحوياً فاعلاً في توجيه الخطاب، ثم استبدل التركيب بـ(إلى أبي فلان)، ليتناسب والسياق الخطابي، لأنّ حرف الجر يفيد الاتجاه والتوجه الخطابي نحو المرسل إليه، وبذلك يكون قد فهم القصد بلا لبس، وهو الأداة الأنسب في افتتاح الرسائل، إذ يعبّر عن قصد الإرسال وتوجيه الخطاب للمرسل إليه، لذا يُعد الحرف (إلى) أداة تصحيح في التوجيه الدلالي للخطاب.

ولكي تكتمل أدوات فهم الحديث الشريف لا بد من الاستناد الى البعد التداولي، وتجاوز الدلالة النحويّة لفعلي الأمر والنهي، وتوظيفهما في استظهار المعنى الدلالي للبنية اللغوية، وضبط التواصل باتخاذ العناصر اللغوية أماكنها المناسبة داخل النصّ، إذ إنّ في اختيار الحرف أثرًا في وضوح الرسالة ودقّة التوجيه، فالخلل في صياغة التركيب ينتج خللاً في الفهم ولبساً في المقاصد.

لذا "تقوم نظرية الفعل المعاصر في أساسها على مبدأ اعتبار اللغة وتجلياتها التعبيرية أفعالاً كلامية من شأنها أن تحقق أفعالاً تواصلية بين الفاعلين لها، متكلمين، ومخاطبين" (كرازي، ٢٠١٨، ص. ٣٤).

وبذا ينهض الحديث بفرق دقيق في الاستعمال اللغوي ولاسيما ما يميز الوظائف الدلالية للحروف، ليشكل نظاماً دلالياً متناسقاً تحصل بإثارة عقل القارئ، إذ إنّ الفعل الإنجازي يتسبب في نشوء تأثير في المشاعر والفكر إقناعاً أو تضليلاً أو إرشادًا. (أوستن،٢٠٠٨، ص. ١٢١)

فالحديث لا يقف عند بيان الفروق الدلالية بين الحروف، بل هو عملية تواصل كتابي وهو ضبط لعناصر الخطاب، وكشف عن إدراك عميق بوظيفة اللغة في الاستعمال، إذ يجعل المعنى مرتبطاً بالسياق والقصد والوظيفة، فالفعل (لا تكتب) يُراد منه إنجاز توجيهي لمنع الاستعمال الخاطئ وتصحيح السلوك الكتابي. إذ يتضمن الفعل افتراضاً مسبقاً بأنّ هناك استعمالاً خاطئاً تفترضه (لا) الناهية.

وفي (فعل الأمر) توجيه مباشر يتضمن القوة الإلزامية لتوجيه الاستعمال اللغويّ الدقيق للحروف، فهو ليس أمراً فحسب، بل هو تنظيم بنية الرسالة وتجديد موقع الكتابة، "ففي كلّ تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل". (صحراوي،٢٠٠٥، ص. ٣٠-٣١).

ومن عناية الإمام الصادق (عليه السلام) بالمكاتبة أنّه روي عن أحد أصحابه أنّه قال: "سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يبدأ بالرجل في الكتاب فقال: لا بأس بذلك من الفضل يبدأ الرجل بأخيه يُكرمُه" (الكليني،١٤٢٩، ج٢، ص. ج٢، ص. ٦٧٣).

جاء في القاموس المحيط: "الفضل: ضد النقص"(الفيروزآبادي،٢٠٠٥، ج٤، ص. ٣١)، وفي لسان العرب: هو ضد النقص والنقيصة (ابن منظور،١٩٩٤، ج١١، ص. ٥٢٤)، وفي المفردات: هو الزيادة عن الاقتصار، وكل عطية لا تلزم من يُعطي يقال لها فضل نحو قوله تعالى ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (القرآن الكريم، الجزء الخامس،٣٢. ٨٣)،وقوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ٤﴾ (القرآن الكريم، الجزء الثامن والعشرون،٤. ٥٥٣)(الأصفهاني، ص. ٢٠٠٩) ، وقد توسمت هذه الألفاظ دلالة السمو الأخلاقي والتفاضل القيمي والرقيّ في المعاملة في تراكيبها الدلالية.

وعلى الرغم من أنّ البنية التركيبية للنصّ ذات الألفاظ القليلة إلّا أنّها تحمل دلالات عميقة وأبعاداً تعبيرية دقيقة في توجيه الخطاب يكشف وعيًا عميقًا تجاوز الشكل التركيبي، والفعل الكتابي الى قيم دلالية وتداولية تؤسس أدباً تواصلياً في المكاتبات وسلوكاً دائماً يعنى بالجانب النفسي، والاجتماعي للمخاطب. فـ "المتكلم لا يقول ما يعنيه في كلّ مناسبات المنطوق على نحو مباشر"(حافظ،٢٠١١، ص. ٣١٥)

فعبارة (لا بأس بذلك) لها دلالة نفسية يراد منها إزالة التردد عند السائل، لتتضمن استحساناً منقولاً بالفعل من دائرة الإباحة، ليرسّخ قيمة اجتماعية جديدة لدى المتلقي، فالتركيب فيه دلالة على التلطيف والأسلوب الحواريّ في الإقناع غير المباشر. وإنّ أساليب الإقناع هي فنون ومهارات تواصلية استعملها الرسول وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام). (الدخيل، ٢٠١٢، ص. ٨٢)، وقد جاء بتركيب (لا بأس بذلك) بديلاً من صيغة فعل الأمر، لتهيئة السائل نفسيّاً، إذ جعل في ذكر الرجل ابتداءً فضلاً وإكراماً، وهذا خطاب يجعل المتلقي أكثر هدوءًا.

إنّ القوة الإنجازية في نظرية الأفعال الكلامية في قوله (من الفضل) هي توجيه أخلاقي وسلوك لإرساء العرف الاجتماعي، فقد أدى هذا اللفظ فعلاً تداولاي في اللغة الاجتماعية، وحينما نصل الى قوله (يبدأ الرجل بأخيه يكرمه)، فظاهر المعنى الحرفي هو الدعوة الى الابتداء بالمرسل إليه إكراماً له، وهذا ربط بين الفعل اللغويّ والأثر النفسي والاجتماعي.

إنّ دلالة التقديم للفعل (يبدأ) فيه من المودة والألفة ما عالج موقفاً نفسياً بأثر الفعل الاجتماعي، "لأنّ من أهداف هذا النصّ التعامل مع النفس الإنسانية من منطلق الإثارة العاطفية وتحفيز الوجدان لإعمال الذهن وتحريض الفكر من أجل اتخاذ موقف وتحقيق سلوك"(الباجي،٢٠١٠، ص. ٣٢٣).

وقد ثبت في مدونة النحو العربي أن الفعل المضارع يدل على الاستمرار والتجدد، فالقيمة الدلالية للفعل بصيغة المضارع تؤسس لقاعدة تربوية وأخلاقية في أدب المكاتبات وتقديم الآخر فيه من الاعتراف بالمكانة والسمو المعنوي، فقد وظّف النصّ بعداً ثقافياً يستقيه من الكتابة، . "فإن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة محملة بمقاصد معينة في سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة وتحدث أثراً عند المتلقي أو المستمع"(حافظ،٢٠١١، ص. ٢٦٤)

وقد أظهرت لفظة(أخيه) دلالات المودة والانتماء الأخوي والتقارب النفسي، ما أعطى للخطاب صفة التلطف في البعد التداولي، وجعل المتلقي في حيز التقارب الروحي. وهذا ما نصّ عليه مبدأ (لا كوف) في الدراسات الحديثة المسمى بمبدأ التأدب ضمن ثلاث قواعد يجب مراعاتها أو إحداها؛ لتحقيق الغاية القصوى للتواصل وقد عرفت القاعدة بقاعدة التودد أي: التودد للمرسل إليه وأن تكون صديقاً له (الشهري، ٢٠٠٤).

وبذلك إنّ هذه اللفظة قد نقلت الخطاب من الإجراء الإداري القائم على الإجراء الرسمي في المكاتبات الإدارية الى بثّ العلاقة الإنسانية والشعور بالطمأنينة، وإنّ استعمال الجملة الفعلية (يكرمه)، هي علّة وسبب لما تقدّم، إذ منحه اعتباراً معنوياً آخر بفعل الاحترام والإشعار بقيمته، " إنّ ما يعود إلى حالة المعنى الحرفي في اللغة لا يشكل سوى اللحظة المبدئية والأولى التي تقودنا الى تلمس البدايات المؤسسة

للدلالة وحدود هذه الدلالة هي وصف هذه الحالة بالابتعاد فقط عن عناصرها الأصلية بذلك نكون أمام سيرورة لا ندرك منها سوى التجليات التقريرية وانطلاقاً من هذا المعنى الأصلي أو هذا الحد الأدنى المعنوي الذي تقدمه لنا الواقعة في أبعادها الحرفية يمكن تخيل معالم استعارية قادرة على بناء أكوان دلالية متعددة" (حافظ،٢٠١١،ص ص. ٢٦٨- ٢٦٩).

والنصّ بعد ذلك يؤسس لمبدأ الإيثار عملاً بقوله تعالى: "﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ "(القرآن الكريم، الجزء الثامن والعشرون،٩. ٥٤٦)، إذ إنّ الابتداء باسم الكاتب كان تقليداً سائداً في المكاتبات، ليعكس مركزية ذات الكاتب، وقد جعل من الإيثار عنصراً لإعادة ترتيب العرف الاجتماعي في التقليد السائد، ليبين أهمية البدء بالآخر على أنه فضل لا ضعف، وأنّ تقويم الآخر فيه إثبات وتعزيز لذات المرسل وهو محلّ للنفس البشرية أن تتعرف على ذاتها بإكرام الآخرين.

٣-الكتابة مظهر شخصية الكاتب وهويته:

ورد عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: "كتاب الرجل عنوان عقله وبرهان فضله" (الآمدي، ١٩٩٢، ص. ٣٠٢) في هذا النصّ تتحول الكتابة الى وثيقة كاشفة شخصية الإنسان ومرآة عاكسة لعقله وإنّ تراكيب الجملة الواردة في النصّ جاءت لتبين حالة الثبات في شخصية الإنسان.

"والكتاب في الأصل مصدر ثم سمّي به المكتوب فيه كتاباً والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه وفي قوله تعالى: "﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ۚ﴾ " (القرآن الكريم الجزء السادس،١٥٣. ١٠٢) فإنّه يعني صحيفة فيها كتابة، ولهذا قال تعالى: "﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ "(القرآن الكريم، الجزء السابع ،٧. ١٢٨) ويعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم بالكتابة"(الأصفهاني،٢٠٠٩، ص. ٥٥٥)، ويلاحظ أنّ عنصر التحول الدلالي قد نقل المعنى المادي في الألفاظ المعجمية في النصّ إلى المعاني الدلالية، إذ إنّ الكتاب يمثل معنىً حضارياً ومعرفياً وهو رسالة فكرية ونتاج عقليّ.

والعنوان في الاصطلاح "بنية لغوية مشحونة الدلالة والممثلة لفكرة النصّ بقصدية من قبل المرسل يحكمها سياق قادر على إحداث التواصل مع المرسل"(الراشدي، ٢٠١٢، ص. ٣١)، "ومنه أصبح العنوان سمة الكتاب وأثره الذي يسِمه ويظهره، بإرادة وقصد"(تميم،٢٠١٩، ص. ١٥).

وقد استعمل الكتاب بوصفه فعلاً تواصلياً حاملاً لمقاصد المتكلم إذ يكشف الاستلزام الحواري أنّ المتلقي سوف يستنتج ويتعرف على مستوى عقل صاحب الكتاب من جودة الكتابة ودقتها ورصانة الأسلوب، وفي قوله:(برهان فضله) وظيفة حجاجية تتعلل بالمكتوب دليلاً عملياً على علمه وفضله، ثم يتحول الخطاب الى وسيلة إقناع، ليثبت المكانة العلمية والاجتماعية للرجل.

وبذلك تكون الكتابة علامة ثابتة وكاشفة عقلية الإنسان، فقد يكون الإنسان قادراً على إخفاء أفكاره في كلامه وتلفظه، أما الكتابة فهي مظهر لما يحمله الإنسان من وعي فكري ونشاط عقلي، ليس في دلالته على الذكاء لغة، أي: بمعنى (سريع الفطنة) (الفراهيدي،٢٠٠٥،

ص. ٣١٠)، بل في جودة تفكيره وحسن ترتيبه وسلامة تعبيره وقدرته على الإقناع، لذا تصبح الكتابة عامل تقييم لرجاحة العقل وقوته ودليلاً على الفضل.

وبذلك تتصاعد الدلالة من الكشف في لفظة (عنوان) الى الإثبات في لفظ (برهان)، وأما لفظ (الفضل) ففيه من الدلالة الأخلاقية ما هو واضح وظاهر. وبذلك فقد حوّل النصّ لغة الكتاب الى فعل تواصلي وممارسة اجتماعية تربط بين اللغة والمقام الاجتماعي للكاتب. وقد تضمن النصّ عنصر الإحالة (الهاء) في لفظتي (عقله، وفضله) لتحقيق التماسك النصيّ والاقتصاد اللغوي وتوجيه المتلقي الى المقصود الذي يشترك فيه المتكلم والمخاطب في المعرفة الإرشادية، وبذلك فقد أدت الإحالة وظيفة مركزية ربطت الوحدات اللغوية بمرجعيتها داخل النصّ، وأسهمت في فاعلية التواصل واستنباط المقاصد (النجار، ٢٠١٦، ص. ١٠٦). .

وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: "رسولك ترجمان عقلك وكتابك أبلغ ما ينطق عنك"(الريشهري،١٣٨٧، ص. ٥٣٩) في هذا النصّ يؤسس لعلاقة بين اللغة والفكر، فالرسول والكتاب أداتان كاشفتان البنية العقلية لشخصية الإنسان، وفي النصّ أبعاد دلالية وتداولية تظهر مقاصد البنى اللغوية.

فدلالة الرسول في أصلها اللغويّ تعني (الرسالة) (الفراهيدي،٢٠٠٥) أي: نقل الرسالة والإبلاغ عنها، فالرسول هو المبعوث بما يؤديه، وقد انتقلت الدلالة المعجمية في النصّ الى تمثيل لذات الإنسان ونقل للأفكار العقلية. وقد أحال السامع على الضمير المخاطب (الكاف)، "والضمائر تُكسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل"(عبد الراضي،٢٠١١، ص. ١٠١)، ولا بد أن "تعود الى عنصر أو عناصر أُخَر مذكورة في أجزاء الخطاب ــ فهو شرط وجودها ـ فهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في موضع وما هو مذكور بعد ذلك في موضع آخر" (آل صوينت،٢٠١٠، ص. ٧٢)، وبذلك انتقلت الوظيفة الإخبارية في التركيب النحويّ الى وظيفة تمثليه للشخص المرسل، ليصبح الرسول ناقلاً للأفكار ومعبّراً عن التصورات الذهنية للمرسل. أما الترجمان لغة: فهو "المفسر للسان الذي ينقل الكلام من لغة الى لغة أخرى" (ابن منظور،١٤١٤، ج٢، ص. ٦٦)، فهو مفسر وكاشف عن المراد. ولذا أضافه للعقل؛ ليسبر غور الأفكار الخفية ويكشفها، وبذلك يكون وسيطاً دلالياً يتولى الكشف عن المعنى وإيضاح المقصود.

ثم ينتقل النصّ من الخطاب الشفويّ الى الكتابيّ بعطف التركيب الإخباريّ على ما قبله، ليعبّر باسم التفضيل (أبلغ)، وليكشف القوة والإحكام، وتمام الإيصال وقد أنسن النصّ لفظ (الكتاب)، ليجعله حيّاً ناطقاً يعبر عن صاحبه فالكتابة ليست رموزاً ميتة، بل هي امتداد لوجود الإنسان الكاتب. وبذلك يربط النصّ بين الكفاءة اللغوية والعقلية، ليكشف مقاصد المتكلم، ويعبر عن حالته الذهنية، فالرسول والكتاب يمثلان منتوجاً فكرياً لمقاصد المتكلم.

إنّ الخبر الظاهر في النصّ يحمل فعلاً توجيهياً لتحسين الكتابة وضبط التعبير وانتقاء الرسل، فظاهر القول يكشف مقصود المتكلم تداولياً، "فالمتكلم لا ينبني كلامه بمعزلة عن العالم الخارجي أو عن المخاطب بصورة خاصة بل على ضوء الفرضيات التي بناها مسبقاً عن المتلقي وشخصيته الثقافية والاجتماعية وقدراته الفكرية على استنباط المعاني والاستدلال عليها"(خضير، ٢٠١٧،ص. ١٥٣)،

ولسلطة الكتابة أثر أكبر، وأدق من الكلام الشفهي وأثبت وأقدر على صناعة امتداد الأثر، فقد يغيب الإنسان ويبقى أثره الكتابي شاهداً عليه، فالكتابة في النصّ تؤدي وظيفة تداولية إذ تتجاوز التوثيق الكتابي الى تمثيل الذات .

النتائج:

١- أظهرت الدراسة أن مفهوم ألفاظ الكتابة في أحاديث النبي وآله (عليهم الصلاة والسلام) لم يكن فعلاً مادياً فحسب، بل منظومة دلالية متكاملة ارتبطت بحفظ العلم ونقله وتداوله واستدامته عبر الأجيال، فهو يؤدي وظيفة تواصلية تجاوزت الزمان والمكان.

٢- بينت الدراسة أن الأفعال الإنشائية لم تكن غايتها المعنى البنيوي فحسب، بل حملت مقاصد تداولية فيها من القوة الإعجازية ما يجعلها قوة تأثيرية توجيهية تهدف إلى بناء سلوك معرفي قائم على التوثيق والتدوين.

٣- أثبت التحليل التداولي أنّ الاستراتيجية الحجاجي كانت حاضرة في الأحاديث الشريفة لإقناع المخاطبين بأهمية الكتابة تعليلاً وتحذيراً من ضياع العلم معززاً باستشراف المستقبل وربط الكتابة بمصالح الفرد والجماعة.

٤- كشفت الدراسة أن ألفاظ الكتابة في الأحاديث الشريفة قد مثلت أداة لحفظ الذاكرة الثقافية للأمة إذ ارتبطت بحماية المعارف من الضياع والنسيان والتحريف، وهي ليست بديلاً للذاكرة من الذاكرة الإنسانية، بل هي وسيلة لتعزيز ضمان حفظ العلم واستمراريته.

٥- بينت الدراسة أن الألفاظ اللغوية للكتابة في الأحاديث الشريفة قد أظهرت وعياً مبكراً بأهمية التوثيق العلمي وترسيخ ثقافة العلم المؤسس على التوثيق ما كان له أثر بارز في نشأة حركة التأليف والتصنيف، وهذا يعني أنّه سبقٌ لظهور المؤسسات العلمية القائمة على التدوين والتصحيف في الحضارة الإسلامية.

٦- توصلت الدراسة إلى أنّ ما جاء في الأحاديث الشريفة لم يقتصر على الدعوة إلى الكتابة، بل كانت كاشفة بيان آدابها وتنظيمها وضبطها بما يحقق وضوح الرسالة المكتوبة وكفاءة التواصل بين المخاطب والمتلقي.

التوصيات:

١-الاهتمام بدراسة الأفعال الكلامية في الأحاديث المرتبطة بالكتابة للكشف عن المقاصد الإنجازية التي تؤديها صيغ الأمر والنهي والتوجيه والحث الإرشاد في بناء السلوك العملي للمخاطبين.

٢- الإفادة من المناهج اللسانية الحديثة، ولا سيما الدلالية والتداولية وتحليل الخطاب في دراسة النصوص الحديثية ولا سيما المتعلقة بألفاظ الكتابة، وإعادة قراءتها بما يتفق والدراسات اللسانية الحديثة بوصفها تؤدي خطاباً معرفياً تأسيسياً أسهم في بناء ثقافة التدوين، فهي ليست توجيهات تعليمية جزئية مرتبطة بظروف تاريخية معينة.

٤- الاهتمام بدراسة مفهوم التوثيق في الخطاب النبوي وأحاديث أهل البيت (صلوات الله عليهم) بوصفه أساساً معرفياً سبق كثيراً من النظريات الحديثة في حفظ المعلومات وإدارة المعرفة.

المصادر :

آل صوينت، مؤيد.(٢٠١٠). الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي. ط١. لبنان.

ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. (ت-٦٣٧هـ). (ددت). تح: د. أحمد الجوفي. و د. بدوي طبان. دار نهضة مصر للطباعة والنشر. ط٢. القاهرة.

ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر. (ت-٣٣٧هـ دت) تح: كمال مصطفى. ط٣. مكتبة الخامجي.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (١٩٩٩). لسان العرب. ط٣. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد. (ت-٣٩٥ هـ). (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون. دار الفكر.

ابن ظافر، عبد الهادي الشهري. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب. دار الكتب الجديدة. ط١. بيروت. لبنان.

أولمان، ستيفن. دور الكلمة في اللغة. ترجمة: كمال بشر. دار غريب. ط١٢.

الباجي، محمد ديب.٢٠١٠. النسق القرآني دراسة اسلوبية. ط١. دار القبلة للثقافة الإسلامية.

أوستن، جون لانكشو. ٢٠٠٨. نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيبي. الدار البيضاء ط٢، المغرب.

أنيس، إبراهيم. ١٩٦٣. دلالة الألفاظ، ط٣. مكتبة الأنكلو المصرية.

إسماعيل، سيوين علي، وقادر، فخرية غريب.٢٠٢٦. الأبعاد التداولية للصمت اللغوي في المحادثات النصية، دراسات وصفية واستطلاعية لكيفية توظيف عينة من الطلبة الجمعين له. مجلة واسط للعلوم الإنسانية، ٢١(٣). DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss3/Pt1.192

الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب. ٢٠٠٩. المفردات في غريب القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي. ط١. لبنان.

الأرؤوطي، أياد محمد علي.٢٠١٦. المواهب معجم الألفاظ القرآنية. ط١. العراق.

بالمر. ١٩٨٥. علم الدلالة. ترجمة: مجيد الماشطة. مكتبة اللغة العربية.

بوجراند، روبرت دي.١٩٩٨. النص والخطاب والإجراء. ترجمة: تمام حسان. ط١. عالم الكتب. مصر. ١٦- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (ت-٣٩٣هـ).١٩٩٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أميل يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، ط١. دار الكتب العلمية، بيروت.

الجزار، محمد فكري.١٩٨٨. العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. دط. القاهرة. مصر.

الجرجاني، عبد القاهر. (ت-٤٧١هـ).١٩٩٢. دلائل الإعجاز، ط٣. مط: المدني.

الدخيل، فيصل بن مد الله بن محمد. ٢٠٢١. الإقناع في ضوء السنة النبوية، دراسة تأصيلية، ماجستير، الجامعة الأردنية.

الهاشمي، أحمد. ٢٠٠٨. جواهر البلاغة، ط١. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان.

حافظ، إسماعيل علوي.٢٠١١. التداوليات علم استعمال اللغة. ط١. عالم الكتب، إربد، الأردن.

حسنين، صلاح الدين.دت. الدلالة والنحو،ط١. مكتبة الآداب.

الطباطبائي، محمد حسين.٢٠١٠. الميزان في تفسير القرآن، ط١. دار الأضواء، لبنان.

الطبري، أبو جعفر محمد بن بري.(ت-٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١. مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية. بيروت.

يول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٠م

الكليني، محمد بن يعقوب.٢٠١٠. أصول الكافي. ط١. دار المرتضى. بيروت.

كرازي، وناسة.٢٠١٨. أفعال الكلام في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، دكتوراه، جامعة الحاج لخضر – باتنة١.

لاينز،جون. ١٩٨٠. علم الدلالة. ترجمة: مجيد الماشطة. و وليد حسن. و كاظم حسين، مط: جامعة البصرة.

المجلسي، محمد باقر. (١١١٠ت-هـ).دت. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. دار إحياء التراث. لبنان.

مقبول، إدريس.٢٠١١. الأفق التداولي، نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية. ط١. عالم الكتب الحديثة. الأردن.

المتوكل، أحمد. دت. اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرياض.

موشلار، جاك وآن روبول، ٢٠٠٣. التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، بيروت.

النجار، نادية رمضان.٢٠١٦. علم لغة النص والأسلوب بين النظرية والتطبيق، مؤسسة حورس الدولية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت-٩١١هـ).١٩٨٨. معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، ط١. دار الكتب العلمية، بيروت.

السكاكين، أبو يعقوب.١٩٨٢. مفتاح العلوم، تح: أكرم عثمان يوسف، ط١. مط: دار السلام. بغداد.

عبد الراضي، أحمد محمد.٢٠١١. المعايير النصية في القرآن الكريم. ط١. مكتبة الثقافة الدينية.

عمر، أحمد مختار. ١٩٨٢. علم الدلالة، ط١، دار العروبة.

عضيمة، صالح.١٩٩٤. مصطلحات قرآنية. ط١. دار النصر.

الفراهيدي، أبو عبد الله الخليل بن أحمد(١٧٥هـ). ٢٠٠٥. كتاب العين. ط٢. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

الفروسي، صلاح مهدي، وشلاش.٢٠١٤ هاشم طه، المهذب في علم التصريف. ط١. منشورات العطار.

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. (ت-٣٨١هـ). ١٣٩٨. الخصال، تح: مؤسسة شمس الضحى الثقافية. ط١. مط: عمران.

صحراوي، مسعود.٢٠٠٥. التداولية عند علماء العرب. ٢٠٠٥. مط: دار الطليعة، لبنان.

قباوة، فخر الدين.٢٠٠٢. التحليل النحوي أصوله وأدلته. ط١. دار نوبار، القاهرة.

الراشدي، عامر جميل شاهي. ٢٠١٢.العنوان والاستهلال في مواقف النفري. ط١. دار حامد للنشر، عمان.

الريشهري، محمد.١٤٢٩. منتخب ميزان الحكمة، تلخيص: حميد الحسيني. ط١. مط: إشراق. قم.

الرضي، محمد بن الحسين بن موسى. ١٩٨٤. نهج البلاغة. د ط . مط: النهضة، بغداد.

تميم، بو بكر. ٢٠١٩ . العنوان ودلالاته في رواية الجنرال خلف الله مسعود. الأمعاء الخاوية. لمحمد الكامل بن زيد. مقارنة سيميائية . جامعة محمد خضير بسكرة. كلية الآداب واللغات. ماجستير.

خضير، باسم خيري. إستراتيجيات الخطاب عند الإمام مقاربة تداولية. دط . دار الكفيل. العراق.